

الغلو في الدين

الأستاذ عبد الوهاب بشير قدوع

جامعة غريان

إن الغلو في الدين قضية قديمة، قدم الأديان على هذه الأرض، ابتُلي به أناس على مدار التاريخ البشري، إما بدافع الحرص على تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه، وإما بسبب الاتباع والتقليد الأعمى لبعض الناس، الذين يرون في أنفسهم أنهم أوصياء على الدين؛ فزينوا لأتباعهم أباطيل زعموا أنها من الدين، والدين منها براء.

وإذا تحدثنا عن الغلو في الدين، فلا بد لنا من أن نتناول معناه لغة وشرعاً، فالغلو في اللغة، تدور أحرفه الأصلية على معنى واحد، يدل على مجاوزة الحد والقدر، قال ابن فارس: (الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة الحد، يقال: غلا السعر، وذلك لارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلواً إذا جاوز حده)[1]، فيكون زيادة أو نقصاً عن الحالة التي شرع عليها.

---

(1) انظر مقاييس اللغة، كتاب العين واللام 4 : 3387.

ولا يدخل في الغلو طلب الكمال في العبادة إذا لم يجاوز الحد، فإنه من الأمور المحمودة. وقال ابن منظور: (غلا في الدين والأمر، يغلو غلواً: جاوز حده)[1]، وفي الحديث الشريف: (إياكم والغلو في الدين)[2]، وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: (لا تجاوزوا الحد في دينكم فتفرطوا فيه، وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي حده، يقال فيه: في الدين قد غلا فهو يغلو غلوا)[3] .

أما من حيث الغلو في الشرع، فهو مجاوزة الحد في المدح أو الذم، ومجانبة الإنصاف بالتعصب إلى فكرة أو شيخ، ومجاوزة الحد في ذم غيره، ووصفه بما ليس فيه. ويكون الغلو أيضاً بالفعل، ويكون بالترك في مجاوزة الحد في فعل غال، سواء كان الفعل من عمل الجوارح كالزيادة في العبادة المشروعة، أو التعبد بما لم يشرعه الله أصلاً، أو كان الفعل من عمل القلوب والعقائد، وهو أخطر أنواع الغلو، كالغلو في الأنبياء بالإطراء، وإنزالهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها[4] .

ويكون الغلو بالتورع مما لا ورع فيه، كمن فضل الطعام الجاف، واللباس الخشن الذي يزري بصاحبه مع وجود ما هو أصلح منه، فإنه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر واحتقار لباس الزينة الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (سورة الأعراف/29).

ويكون الغلو بالترك أيضاً، سواءً كان الترك من عمل الجوارح، كمن يتقرب إلى الله تعالى بترك ما شرعه من العبادات، وأباحه من الطيبات تزهداً فاسداً. وقد حذر الله تعالى من ذلك في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم﴾ (سورة المائدة/89) .

ولقد ورد النهي عن الغلو في القرآن الكريم، وجاء الخطاب في النهي موجهاً لأهل الكتاب على وجه الخصوص: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ

(1) انظر لسان العرب، كتاب العين واللام 8 : 112 ـ 113.
(2) أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمال 2 : 1008، رقم الحديث: 3029
(3) انظر تفسير الطبري 6 : 42.
(4) انظر تفسير ابن كثير 2 : 82.

أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ (سورة المائدة/171). ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة/77) .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياها، ونقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه، بل غلوا في أشياعه وأتباعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً ، ضلالاً أو إرشاداً، صحيحاً أو كذباً[1] .

وهاتان الآيتان ـ وإن تعلقتا بأهل الكتاب ابتداء ـ فإن المراد منهما موعظة هذه الأمة، لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة[2]؛ ذلك أن الله تعالى أنزل الأديان والشرائع، وحدد فيها الوسائل والغايات، وتعبد الناس بالوسائل كما تعبدهم بالغايات، وبين لهم طريق العبادة، وكيفية الأداء، ومنهج السلوك في التعامل في التشريع، ونصت الشريعة على أن أفضل وسيلة لعبادة الله تعالى هي الكيفية التي أمر الله تعالى بها، وشرعها لعباده؛ لتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة، ولجلب النفع لهم، ودرء المفاسد عنهم، ولتأمين صلاح الفرد والجماعة، وتهذيب النفوس والقلوب، وتقويم الأخلاق والسلوك.

فالخروج عن هذه الكيفية انحراف عن الدين، سواء كان عن طريق الزيادة أو النقص، والمغالاة في التدين حياد عن جادة الصواب، ومجاوزة للحد الذي قدره الشارع الحكيم. قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله تعالى عن الغلو في القرآن)[3] .

وفي السنة النبوية الشريفة أحاديث، قالها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نهيه عن الغلو وتحذيره من سلوك طرق السابقين بالغلو في الدين. وهذه بعض منها على سبيل المثال:

(1) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1: 589.
(2) انظر مقاصد الشريعة لابن عاشور: 60.
(3) انظر اقتضاء الطريق المستقيم: 106.

عن عبد اللّه بن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم غداة جمع: (هلم ألقط لي الحصى، فلقطت له حصيات من حصي الخذف، فلما وضعهن في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[1]، وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[2] .

وضابط الغلو تعدي ما أمر اللّه به، وهو الطغيان الذي نهى اللّه عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ (سورة طه/81) [3] .

ومما سبق من التعريفات اللغوية، وما ورد عن العلماء من التعريفات الاصطلاحية، وكذلك ما ورد من آيات وأحاديث، يتضح لنا أن الغلو هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع، وذلك بزيادة فيه، أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده الشارع الحكيم، فالغلو من المعاصي التي لا يحق للمسلم التهاون بها ـ وإن بدت في بعض صورها من المحقرات في أعين الناس ـ فإنها قد تجر أوزاراً وآثاماً من الموبقات المهلكات التي لا تنتهي بانتهاء من أسهم فيها أو أسسها أو أعان عليها، كما جاء في حديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم: (ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[4] .

فالغلو في حقيقته حركة في اتجاه الأحكام الشرعية والأوامر الإلهية، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حدها الشارع، فهو مبالغة في الالتزام بالدين. والرسول صلى اللّه عليه وسلم عالج صوراً من الغلو العملي التي حدثت في عصره عليه الصلاة والسلام، منها:

أ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي اللّه عنه ـ قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى اللّه عليه وسلم يسألونه عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: أين نحن من النبي صلى اللّه عليه وسلم؟ فقد غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،

---

(1) انظر سن ابن ماجه، كتاب الحج، باب قدر حصى الرمي 2: 1008، رقم الحديث: 3029.
(2) رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر 1 : 116، رقم الحديث: 39.
(3) انظر تيسير العزيز الحميد: 256.
(4) رواه مسلم في صحيحه 2 : 705، رقم الحديث: 1017.

فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[(1)] .

فاستنكر صلى الله عليه وسلم هذا الأمر الذي فيه نوع من الغلو في الدين، وجعله خروجاً عن سنته وهديه، فوقف الصحابة عند هذا الحد، والتزموا هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

ب ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل وعندها امرأة، فقال: من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا) وكان أحب الدين ما دام عليه صاحبه[(2)].

ج ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: مروه فليتكلم، وليستظل وليقعد، وليتم صومه)[(3)] .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفيه أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافياً والجلوس في الشمس، ليس هو من طاعة الله، فلا ينعقد به النذر)[(4)] .

د ـ آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسي وبين أبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء في بيته فرأى أم الدر داء مبتذلة، فقال: ما شأنك مبتذلة؟ قالت إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاماً فقال: كل فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان

(1) رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح 9 : 5، 6. رقم الحديث: 63 50.

(2) رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه 1 : 124، رقم الحديث: 43.

(3)رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب النذر فيما لا يملك 11 : 594 رقم الحديث: 674.

(4) رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب النذر فيما لا يملك 11 : 598.

الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم الليل، فقال له سلمان: نم فنام فلما كان عند الصباح قال له سلمان: قم الآن فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حق ولربك عليك حق، ولضيفك عليك حق، وإن لأهلك عليك حق، فأعط كل ذي حق حقه، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له: صدق سلمان[1] .

فهذه ثمرة من ثمرات الأخوة الصادقة التي غرسها النبي عليه الصلاة والسلام في نفوس أصحابه، وهذه الأخوة عليها معول كبير في تقويم مسلك الغلو، إذ هي تنشيء التفاهم والثقة، وهما عنصران ضروريان في العلاج، وكان علاج سلمان في حزم وحكمة، فأبى أن يأكل إلا إذا أكل معه أبو الدرداء، ولما أرخى الليل سدوله، سلك طريقة عملية متدرجة في علاج الجموح وضبطه، فأمره بالنوم في أوله ثم قام معه في آخره وصليا جميعاً.

هـ - وعن أنس- رضي الله عنه- قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وحبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا؟ قالوا: لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال: حلوه، فيصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعد)[2] .

فهذا الحديث يدل على أن النساء لم يكنَّ أقل حرصاً من الرجال على التزود من الخير والتنافس في أعمال البر، وقد تجلى ذلك في هذه النزعة الجامحة نحو العبادة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقر هذا الجموح الضار، فعمد إلى الزجر عنه وأمر بالوسط النافع، ولنستمع إلى تعليق الإمام النووي النافع حول هذا الحديث إذ يقول: (إن فيه دليلاً على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصاً بالصلاة، بل هو عام في جميع أعمال البر، وفي الحديث كمال شفقته عليه السلام ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم من الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط، والقلب منشرحاً، فتتم

(1) رواه البخاري مع فتح الباري، ، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف 10 : 550رقم الحديث: 6139.

(2) رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب التهجد، باب ما يكره في التشديد في العبادة 3 : 43، رقم الحديث: 1155.

العبادة، بخلاف من تعاطى من العبادة ما يشق عليه، فإنه بصدد أن يتركه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب، فيفوته خير عظيم)[1] .

ونلاحظ من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في علاجه لمسلك الغلو أنه بدأ علاج الغلو في بداية أمره قبل أن يستفحل خطره، حتى قضى عليه، كل ذلك بحكمة رائعة مبنية على معالجة الأمر بروح الشفقة والرحمة والأخوة، والتدرج في العلاج، وتقديم الحلول النافعة، وبيان محاذير وعيوب الغلو من التقصير في حقوق أخرى، وأن الفطرة البشرية لا تطيق الاستمرار على الغلو[2] .

إن الأحاديث والتوجيهات النبوية التي ذكرتها صريحة في رسم منهج الوسطية في العبادة، والحث على الاقتصاد والاعتدال فيها، والنهي عن التعمق والتشدد، والاقتصار على ما يطاق من العبادة، والابتعاد عن تكلف ما لا يطاق، فالغلو عاقبته أن يكون أهله ممن أخبر الباري سبحانه عنهم في قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا﴾ (سورة الكهف/99).

فمن الظلم أن يصنف من بين أهل الغلو، المحافظ على الصلاة لمجرد أنه من المواظبين عليها في المساجد، أو لأنه يرفع يديه في الصلاة عند الركوع أو عند الرفع من الركوع، أو يقبض يديه عند القيام لها، أو توصف المرأة بالغلو لأنها متحجبة، أو لأنها لا تختلط بالرجال ولا تلامسهم، إلى غير ذلك من الالتزام بالواجبات الدينية والسنن الشرعية.

وعلى الجانب الآخر، لا يجوز أن نغالي فيمن حلق لحيته أن لا يُصلى وراءه ويكفر، على رأي بعض المتشددين في الدين، فعلى هذا يسوق الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصري الأسبق ـ رحمه الله ـ في سياق كلامه عن التطرف مثالاً على التزيد في الدين وهو الاهتمام باللحية، ويرى أن الأمر بإعفاء اللحى مثل الأمر بالصلاة في النعل، ويقول: فإن الأمر بإعفاء اللحى والأمر بالصلاة في النعل واحد، وسببهما واحد، وهو مخالفة لليهود ولغيرهم.

(1) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافر.
(2) ظاهرة الغلو في الدين: 93.

فالذي يريد أن يأخذ هذا المظهر، فليأخذه وهو حر في ذلك، لكن أن تتخذ اللحية مقياساً للعبادة، ويمتنع عن الصلاة خلف الحليق، فهذا ليس من الدين أوالفقه فيه، ولا من الورع.

ثم يقول الشيخ محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر الأسبق ـ: إن أمر الناس والهيئات الشخصية، ومنها حلق اللحية، من العبادات التي ينبغي أن ينزل المرء فيها على استحسان البيئة، فمن درجت بيئته على استحسان شيء منها، كان عليه أن يساير البيئة، وكان خروجه عما ألفه الناس فيها شذوذاً عن البيئة(1) . ثم قال: فالأمر إذن لا يتعدى الجواز، ولا داعي لأن نعطيه هذه الأهمية ونثير المشكلات بسببه(2) .

وكذلك إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله ـ عز وجل ـ عبادة وترهباً، وهذا معياره الذي تحده الطاقة الذاتية، وحيث إنه تجاوز الطاقة، وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل، فإنه يعتبر غلواً كما في حديث أبي إسرائيل السابق ذكره، والقضية في هذا تختلف باختلاف الناس.

قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ في الموافقات: (الفرق بين المشقة التي لا تعد مشقة عادة، أو التي تعد مشقة، هو أنه إن كان العمل يؤدي الدوام عليه إلى الانقطاع عنه أو عن بعضه، أو إلى وقوع خلل في صاحبه، في نفسه أو ماله أو حال من أحواله، فالمشقة هنا خارجة عن المعتادة، وإن سميت كلفة، فأحوال الإنسان كلها كلفة في هذه الدار، في أكله وشربه وسائر تصرفاته، ولكن جعل له قدرة عليها بحيث تكون تلك التصرفات تحت قهره، لا أن يكون هو تحت قهر التصرفات)(3) .

ثم تحريم الطيبات التي أباحها الله عز وجل على وجه التعبد، فهذا من الغلو كما يتضح ذلك في بعض الروايات عن النفر الثلاثة، حيث حرم بعضهم على نفسه أكل اللحم والنوم والنكاح، فتركها يعتبر غلواً في الدين.

وكذلك تحريم إحياء ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتباره بدعة سيئة وخروجاً عن الدين، والرسول عليه الصلاة والسلام هو الرحمة العظمى، وقد أذن الله لنا بالفرح والسرور بمولد تلك الرحمة، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ

(1) انظر فتاوى الشيخ محمود شلتوت: 210.
(2) انظر حديث إلى الشباب المتطرف: 83 -84.
(3) انظر الموافقات 2 : 83 -84.

فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (سورة يونس/58) . فقد قال السيوطي في تفسير هذه الآية ناقلاً عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ: (فضل اللّه العلم، ورحمته محمد صلى اللّه عليه وسلم)[1] .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعظم يوم مولده، ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: فيه ولدت وفيه أنزل علي)[2] . وهذا في معنى الاحتفال به، إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود، سواء كان ذلك بصيام أو إطعام، أو اجتماع على ذكر أو صلاة، أو سماع شمائله، وإن مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمر استحسنه العلماء والمسلمون في جميع الأصقاع، وجرى به العمل في كل بلد من بلاد الإسلام، فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ الذي ذكره أبو نعيم عند ترجمته، قال: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح.

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: (فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم)[3]، وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: (من خواصه أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام)[4]، وقال ابن الحاج ـ رحمه الله ـ: (فكان يجب أن نزداد يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العبادات والخير شكراً للمولى على ما أولانا من هذه النعم العظيمة، وأعظمها ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم)[5]، وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ: (وإكراماً لهذا المولد الكريم، فإنه يحق لنا أن نظهر معالم الفرح والابتهاج بالذكرى الحبيبة لقلوبنا كل عام، وذلك بالاحتفال بها في وقتها)[6] .

(1) انظر الدر المنثور 2 : 308.
(2) رواه مسلم، باب استحباب صيام الاثنين 1: 473.
(3) انظر السيرة الحلبية 1: 83 -84.
(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(5) انظر المدخل 1 : 361.
(6) انظر على مائدة الفكر الإسلامي: 295.

وهناك من يقول: إن الاحتفال بالمولد النبوي لم يفعله السلف، ولم يكن في الصدر الأول، فهو بدعة محرمة يجب الإنكار عليها. وهذا نوع من التطرف المسيء للدين، فالجواب على ذلك: أنه ليس كل ما لم يفعله السلف، ولم يكن في الصدر الأول فهو بدعة محرمة، ولو كان الأمر كذلك لحرم جمع أبي بكر وعمر وزيد ـ رضي الله عنهم ـ القرآن وكتابته في المصاحف خوفاً على ضياعه بموت الصحابة والقراء، ولحرم جمع عمر ـ رضي الله عنه ـ الناس على إمام واحد في صلاة القيام مع قوله (نعمة البدعة هذه)[1] . وحرم التصنيف في جميع العلوم النافعة، واتخاذ الربط والمدارس والمستشفيات والإسعاف ودار اليتامى والسجون، بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب، أو على محرم فهو محرم، أو على مكروه فهو مكروه، أو على مباح فهو مباح، فكل ما تشمله الأدلة الشرعية، ولم يقصد بإحداثه مخالفة الشريعة، ولم يشتمل على مكروه، فهو من الدين.

وهناك من المتطرفين المغالين من ينكر وصول ثواب القرآن الكريم إلى الأموات، وهذا يعتبر لوناً من ألوان التطرف المنهي عنه، حيث إن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: (يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والآخرة إلا غفر الله له، اقرؤوها على موتاكم)[2] . وأقر جمهور السلف والأئمة الثلاثة وصول ثواب القرآن للميت، قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ: ويستحب أن يقرأ شيء من القرآن على الميت وإن ختموا القرآن عنده كان حسناً[3]، قال الشوكاني في نيل الأوطار: (يصل إلى الميت جميع أنواع البر من صلاة أو صوم أو حج أو صدقة أو ذكر أو غير ذلك)[4]، وقال ابن رشد في النوازل ما نصه: (وإن قرأ الرجل وأهدى ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت أجره).

---

(1) أخرجه البخاري مع فتح الباري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان 4 : 294 - 295، رقم الحديث: 2010.
(2) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، ما جاء فيما يقال عند المريض 1: 466 -467، رقم الحديث: 1448.
(3) انظر المجموع للنووي 5: 294، ورياض الصالحين: 974.
(4) انظر: نيل الأوطار للشوكاني 4: 125.

وقال العلامة ابن الحاج في مدخله ما نصه: (لو قرأ في بيته وأهدى إليه لوصلت، وكيفية وصولها: أنه إذا فرغ من تلاوته وهب ثوابها له أوقال: اللهم أجعل ثوابها له، فإن ذلك دعاء بالثواب لأن يصل إلى أخيه، والدعاء يصل بلا خلاف)، وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (الأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة، فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم على الجنازة وعند زيارة القبور وغير ذلك، وروي عن طائفة من السلف: عند كل ختمة دعوة مجابة فإذا دعا الرجل عقب الختم لنفسه ولوالديه ولمشايخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من الجنس المشروع[1] .

ومنهم من ينكر الدعاء بعد الصلاة والدعاء الجماعي ولم يعلموا أن الدعاء هو الالتجاء إلى الله والتضرع إليه، والطلب منه لدفع شر أو جلب خير. ولأهميته كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحرك إلا بالدعاء بعد الوضوء وفي الصلاة وفي دخوله المسجد والخروج منه وبيت الخلاء... وغيرها.

وكذلك هناك من الشباب المتطرف الذي ينكر الدعاء الجماعي، فالحق أنه يجوز، فيدعو أحد المجتمعين ويؤمن الباقون عملاً بالحديث الشريف القائل: (لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن سائرهم إلا أجابهم الله)[2] . فإذن، ثبت بالحديث أن الدعاء الجماعي يجوز، بل إنه أفضل من الدعاء الفردي؛ لأن الدعاء الجماعي يدعو إلى الترابط ولم الشمل والوحدة، ويعطي أجمل مظهر للإسلام، بحيث يكون المأمومون كلهم رافعين أيديهم، يدعون معاً بصوت واحد "آمين"، ولعله أن يكون بعض الحاضرين مجاب الدعوة، فتشمل دعوته الباقين.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبة)[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما رفع قوم أكفهم إلى الله تعالى يسألونه شيئاً إلا كان على الله حقاً أن يضع في أيديهم الذي

(1) انظر إسعاف المسلمين والمسلمات: 50.
(2) رواه الطبراني ورجاله ثقات، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.
(3) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. انظر نيل الأوطار 2 : 345.

سألوا)[1] ، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: (إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين)[2].

فرفع اليدين في الدعاء بعد الصلاة مشروع بعموم هذين الحديثين الصحيحين، ومن هنا نعلم أن ما يجري في مساجدنا اليوم من الدعاء الجماعي بعد الصلاة عمل محمود، لأن الحديثين السابقين يحضان على الدعاء الجماعي. وكذلك دخل الرسول صلى الله عليه وسلم على رجل قد نصب نفسه للإقراء وللدعاء بالناس فرضي بفعله وحمد الله عليه[3] .

فالإسلام بنى تشريعاته على الوسطية واليسر والرحمة بالعباد، ولم يقصد بتكاليفه عنتاً ولا إرهاقاً، ولم يأمر بشيء فوق طاقة البشر. قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفا﴾ (سورة النساء/28). قال ابن كثير: (يريد الله أن يخفف عنكم في شريعته، وأوامره، ونواهيه، وما يقدره لكم)[4]، وهناك أحاديث كثيرة تبين أن الإسلام دين سماحة ويسر، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا)[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام: (يسرا ولا تعسرا ويسرا ولا تنفرا)[6] . وقال أيضاً: إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز كراهية أن أشق على أمه)[7] .

وهكذا فاليسر والتيسير من شعائر الإسلام في جميع الأمور، وإن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية التيسير، ورفع الحرج عن الناس من كل باب من أبواب

---

(1) رواه الطبراني في الكبير: 6142. وإسناده صحيح.
(2) رواه ابن ماجه، باب رفع اليدين في الدعاء 2 : 1271، رقم الحديث: 3865.
(3) انظر الدر المنثور للسيوطي 4 : 241.
(4) انظر ابن كثير، تفسير القرآن الكريم 2: 233.
(5) رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب يسر الدين 1: 116، رقم الحديث: 39.
(6) رواه البخاري مع فتح الباري، كتاب الأدب، باب يسروا ولا تعسروا 10 : 541، رقم الحديث: 6124.
(7) انظر سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة 1 : 209، رقم الحديث: 789.

التشريع، ولذا كان من قواعده المقررة في الإسلام "أن المشقة تجلب التيسير وأنه ليس في شريعة الله حرج، وأنه إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا تعسر الفرض سقط، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة/285).

ويظهر رفع الحرج في باب العبادات واضحاً في الرخص والتخفيفات التي تدل على اليسر ورفع الحرج، في عباداته وتكاليفه في عامة الأحوال، فإن القرآن الكريم، والسنة النبوية شرعا ألواناً من الاستثناءات والتسهيلات في أحوال خاصة، وهي تلك التي يجد فيها الإنسان نوعاً من المشقة يؤوده ويثقل ظهره، ويقعد به عن مواصلة السير. مثل قصر صلاة المسافر، وفطره في الصيام وتيممه للصلاة لعدم وجود الماء أو مرضه، وصلاته بأي شكل يستطيعه الإنسان المريض، وغيرها من الرخص التي اقتصرنا منها على ما ذكره.

وفي النهاية، وبعد أن ظهرت الأدلة من الكتاب والسنة على سماحة الإسلام ويسره، والتحذير من الغلو والتطرف والوقوع في أحضانه الذي هو إساءة للإسلام وشريعته السمحة البعيدة عن العقد والميل والزلل ـ فشبابنا عليه الرجوع إلى أمهات الكتب الفقهية، والابتعاد عن سماع أشرطة لا ندري مدى صحتها، وكتب تعتبر قصاصات، إذا ما قورنت بأمهات الكتب الفقهية القديمة التي ألفها أصحابها على سراج من زيت، أو على شمع في بيوت سقفها الجريد والطين.

وأخيراً علينا أن نتمسك بديننا، وأن نكون قلباً واحداً بوجه الأعداء، وأن ننتبه على أن أعداء الإسلام لا يهمهم إلا أن نكون متفرقين؛ حتى يستطيعوا أن يسودوا علينا كما قالوا: فرق تسد.

ولماذا هذا الخصام بين المسلمين إذا كان لكل منهم دليله وبرهانه، فعلينا أن نبتعد عن أهوائنا وشهواتنا، حتى يكون الإيمان كاملاً كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)[1]، وإذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد عاتب سيدنا أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ على قتله الرجل الذي قال لا إله إلا الله مرة، فكيف بمن يقول لا إله إلا الله مرات ومرات؟، وكيف نحاربه ونكفره وننسى قوله عليه الصلاة والسلام: (أيما

(1) رواه الخطيب في تاريخ 4 : 369.

رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما)[1]. وإذا كانت الأدلة ساطعة وظاهرة، فلماذا نغض الطرف عن هذه الأدلة ونتبع شهواتنا وأهواءنا، ونبقى مختلفين متفرقين مع علمنا أن هذا لن يخدم الإسلام والمسلمين.

وفي النهاية أقول: اللهم اجعلنا متمسكين بالكتاب والسنة حق التمسك، بعيدين عن الخلاف والتفرقة، وأعيناً لما يخططه أعداء الإسلام والمسلمين، واجعلنا متحابين فيك، بعيدين عن الفوضى والخلاف الذي يخدم أعداء الإسلام، وانصرنا على أنفسنا وأهوائنا، وبصرنا بما أردته منا، وحققنا بالعلم بالكتاب والسنة، وهيئ لنا من أمرنا رشداً، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والحمد لله رب العالمين.

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه 10: 531، رقم الحديث 6104.